الله كلمتان خفيفتان على اللسان الى اخره وقد نص اهل المعاني على انه
من جملة الاسباب المقتضية لتقديم المسند تشوق النفس الى ذلك المسند اليه فيكون اوقع في
النفس اذا دخل في القبول لان الحاصل بعد الطلب اعز من المساق بلا تعب
ولا يخفى ان ما ذكره القوم متحقق في هذا الحديث بل هو احسن من المثال
الذي اوردوه بكثير وهو قول الشاعر

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها ❊ شمس الضحى وابو اسحق والقمر

ومراعاة مثل هذه النكتة البلاغية وهو الظاهر من تقديم الخبر على المبتدا لكن
رجح المحقق الكمال ابن الهمام رحمه الله ان سبحان الله هو الخبر قال لانه موضع
لفظا والاصل عدم مخالفة اللفظ لحمله الاولوجب بوجه قال وهو من قبيل الخبر
المحذوف بلا تعدد لان كلا من سبحان الله مع عامله المحذوف الاول والثاني مع
عامله الثاني انما اريد بلفظه والجمل المتعددة اذا اريد لفظها فهي مما قبيل
المفرد الجامد ولذا لا يحتمل ضميرا ولانه محط الفايدة بنفسه بخلاف كلمتان
فانه انما تكون محط الفايدة باعتبار وصفه بالخفة على اللسان والثقل في الميزان
والمحبة للرحمن الاترى ان جعل كلمتان الخبر فيتبين لانه ليس متعلق الغرض
الاخبار منه صلى الله عليه وسلم عن سبحان الله الى اخره انها كلمتان بل بملاحظة
وصف الخبر بما تقدم اعني خفيفتان ثقيلتان حبيبتان فكان اعتبار سبحان الله
الى اخره ووجهه بوجهين ان سبحان الله لزم الاضافة الى محذوف فجرى مجرى
الظروف والظروف لا تقع الاخبارا فيها ان سبحان الله الى اخره كلمة او المراد
بالكلمة في الحديث اللفوظية كما تقدم فلو جعل مبتدا لزم الاخبار عما هو كلمة
بانه كلمتان واجيب بانه لا يخفى على سامع ان المراد اعتبار سبحان الله
وبحمده كلمة وسبحان الله العظيم كلمة فيها كما يصح ان يعبر عنه بكلمة كذلك
يصح ان يعبر عن كل جملة منه بكلمة غير انه لما كان كل من الجملتين اعني سبحان
الله وبحمده سبحان الله العظيم مما يتعمد ذكرا تاما ويعود بالقصد
الى غير كلمة وعرضها بكلمتين على ان ما ذكره لازم على تقدير جعل سبحان الله
الخبر كما هو لازم على تقدير جعله مبتدا الا ترى كما لا يصح ان يخبر عما هو
كلمة بانه كلمتان كذلك لا يخبر عما هو كلمتان بما هو كلمة انتهى وفي هذا
الحديث من علم البديع المقابلة والمناسبة والموازنة في السجع اما المقابلة
فقد قابل الخفة على اللسان بالثقل في الميزان واما الموازنة في السجع ففي قوله
حبيبتان الى الرحمن ولم يقل للرحمن لاجل موازنة على اللسان وفيه نوع من
الاستعارة في قوله خفيفتان فانه كناية عن قلة حروفها ورشاقتها قال
الطيبي

الطيبي فيه استعارة لان الخفة مستعارة للسهولة انتهى والظاهر انها من قبيل
الاستعارة بالكناية فانه شبه سهولة جريانها على اللسان بما يخف على الحامل
من بعض الامتعة فلا يتعبه كالشيء الثقيل فحذف ذكر المشبه وابقى شيئا من لوازمه
وهو الخفة واما الثقل فعلى الحقيقة عند اهل السنة اذ الاعمال تجسم كما مر
وفيه حث على المواظبة عليها وتحريض على ملازمتها وتنبيه بان سائر التكاليف
صعبة شاقة على النفوس ثقيلة وهذه خفيفة سهلة عليها مع انها تثقل في
الميزان وقد روي في الاثار ان عيسى عليه السلام سيل ما فعال الحسنة تثقل والسيئة
تخف قال لان الحسنة حضرت مرارتها وغابت حلاوتها فثقلت فلا يحملنك
ثقلها على تركها والسيئة حضرت حلاوتها وغابت مرارتها فلذلك خفت عليكم
فلا يحملنك على فعلها خفتها فان بذلك يخف الموازين يوم القيامة ويستفاد
من هذا الحديث ان مثل هذا السجع جايز وان النهي عنه في قوله صلى الله
عليه وسلم سجع كسجع الكهان ما كان متكلفا او متضمنا لباطل لا ما جاء عن
غير قصد او تضمن حقا وفيه من علم العروض افادة ان الكلام المسجع ليس
بشعر فلا يجوز ان على وان جاء على وفق التجوز في الجملة فهذا مع شهرته قل له
تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له وقد جاء في الكتاب والسنة اشياء على
وفق التجوز فمنها ما جاء على وفق الرجز نحو قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر
لهم ما قد سلف ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم هل انت الا اصبع دميت
وفي سبيل الله ما لقيت وسبق مزيد لذلك في هذا الشرح فليراجع وقد
مسنده من الطايفين القول في موضعين والتحديث في موضعين والعنعنة
وهي في البخاري محمولة على السماع فهي مثل اخبرنا والمعنعنة من غير المدلس
محمولة على السماع كما تقرر في المقدمة اول هذا الشرح ومن الحديث ايضا
الاعتناء بان التسبيح اكثر من التحميد لكون المخالق فيه وذلك من جهة تكوينه
اعني لم سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وقد جاءت السنة به على انفراد
شيء وفي مسلم عن سمرة من قرأ افضل الكلام سبحان الله والحمد لله ولا اله الا
الله والله اكبر اي افضل الذكر بعد كتاب الله والموجب لفضلها اشتمالها
على جملة انواع الذكر من التنزيه والتحميد والتمجيد ودلالتها على جميع
المطالب الالهية اجمالا لان الناظر المتدبر في المعارف يعلم انه سبحانه اولا
بنعوت الجلال التي تنزه ذاته عما يوجب حاجة او نقصا ثم باضافات الاكرام
وهي الصفات الثبوتية التي يستحق بها الحمد ثم يعلم ان من هذا شانه
لا يماثله غيره ولا يستحق الالوهية سواه فينكشف له من ذلك انه اكبر اذ كل
شيء هالك الا وجهه وفي الترمذي وقال حديث غريب عن ابن عمر ان رسول

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)